

## المبحث الثالث: خصائص القرآن الكريم

خصائص القرآن الكريم كثيرة منها:

أولاً: كتاب إلهي:

أولى خصائص القرآن، أنه كتاب الله تعالى، الذي يتضمن كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، فهو إلهي المصدر: مثة في المثة لفظاً ومعنى، أوحاه الله إلى رسوله ونبيه محمد ﷺ عن طريق الوحي الجلي، وهو نزول «الرسول الملكي» جبريل عليه السلام على «الرسول البشري» محمد وليس عن طرق الوحي الأخرى من الإلهام أو النفس في الزرع، ومن الرؤيا الصادقة أو غيرها.

- قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أُخْرَكَ ءَايَاتُكَ ثُمَّ فَصَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

- قال سبحانه يخاطب رسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَلْقَلْبِ الْفَرَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6].

- وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: 105].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزله منجماً وفقاً للحوادث ليكون أرسخ في مواجهة المحن والشدائد التي تنزل به وبأصحابه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: 32 - 33].

وحكمة أخرى، وهي أن يقرأه الرسول الكريم على المؤمنين به

على مهل، وحيث يستوعبونه حفظاً وفهماً وعملاً، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

ولكن القرآن عند الله تعالى كتاب معلوم أوله وآخره، مسجل في أم الكتاب أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون، كما صرح بذلك القرآن نفسه: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَلِكِتَابٍ أَلْمِينٍ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُنْزِيلٍ أَلِكِتَابٍ لَدَيْنَا لَعَلَّكَ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: 1 - 4].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٦١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٦٢﴾ [البروج: 21 - 22].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: 77-80].

وأي قارئ للقرآن - له عقل وحس - يستطيع أن يلمس كلام بشر، وأنه متميز عن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي يتمثل في الحديث النبوي، وإن كان في ذروة البلاغة البشرية، وإن وجود آية قرآنية ضمن حديث نبوي، يجعل لها نوراً خاصاً يحس به من يقرأها أو يسمعها، ويشعر أنها ليست من جنس ما قبلها وما بعدها<sup>(1)</sup>.

ومن روائع ما قال الإمام ابن القيم عن «الخطاب القرآني» قوله

(1) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، ص: 21.

في كتابه «التبيان في أقسام القرآن»: تأمل في خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، وموردها إليه، مستوياً على العرش، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبده، مطلعاً على أسرارهم وعلانياتهم منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، يعطي ويمنع، يثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي، ويدبر الأمور، نازلة من عنده، دقيقة جليها، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، يذكرهم بنعمهم عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نقمه، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويثني على أوليائه لصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بسوء أعمالهم وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب على شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدي السبيل، ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافهم وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكر عباده فقرهم إليه، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه

الغني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: كتاب محفوظ:

ومن خصائص القرآن: أنه كتاب محفوظ، تولى الله تعالى حفظه بنفسه، ولم يكل حفظه إلى أحد كما فعل مع الكتب المقدسة الأخرى<sup>(2)</sup>.

وقد نوه الله سبحانه بعظمة القرآن بذكر حفظه قبل نزوله في آيات منها:

- ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرٌ ۝۱۱﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿۱۲﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿۱۳﴾ تَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿۱۴﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿۱۵﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿۱۶﴾ ﴿عبس: 11 - 16﴾.

- وأما حفظ الله تعالى للقرآن أثناء نزوله فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقِّ نَزْلٌ ۝۱﴾ [الإسراء: 105].

- وأما حفظ الله تعالى للقرآن بعد نزوله فيدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝۹﴾ [الحجر: 9].

والصيغة تدل على التأكيد من عدة أوجه يعرفها دارسو العربية، منها: اسمية الجملة وتأكيدها بحرف إن ودخول اللام المؤكدة عن الخبر «لحافظون»<sup>(3)</sup>، ولحفظ الله إياه فقد بقي كما هو: طوداً أشم، عزيزاً لا يُقتحم حِمَاهُ، وكل محاولة لتغيير حرف منه مقضي عليها

(1) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، ص: 21، نقلاً عن التبيان في أقسام القرآن.

(2) المصدر نفسه، ص: 22.

(3) المصدر نفسه، ص: 24.

بالفشل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزُونَ﴾ (١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢﴾ [فصلت: 41 - 42].

وقد هيا الله تبارك وتعالى للقرآن العظيم ظروفًا تختلف عن الكتب السابقة فحفظه دونها ومن ذلك:

1 - هيا أمة قوية في ذاكرتها وحافظتها، ذلك أن العرب الأوائل في جاهليتهم كانوا متمكنين من ذلك حيث يروون ألفاً من أبيات الشعر بغير تدوين، إنما يعتمدون في ذلك على الحفظ.

2 - هيا للقرآن العظيم سهولة الحفظ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٣) [القمر: 17].

3 - هيا له أمة مستقرة ممكنة في الحفظ والفهم، والأمانة، فكان الحفاظ يحفظونه على يدي رسول الله ﷺ حتى يُتَقْنُوا الحفظ، ثم يُدَوِّنُونَهُ بعد ذلك، ويقف عليهم بنفسه في مراجعة ذلك.

4 - هيا له مراجعة النبي ﷺ له في المأى الأعلى، حيث كان يحفظ ما يوحى إليه ثم يُراجعه على جبريل عليه السلام مرة كل سنة، وفي السنة الأخيرة من حياته المباركة راجع جبريل القرآن كله على رسول الله ﷺ مرتين.

5 - بعد الفراغ من تدوينه لم يُعد هناك مجال لعبث عابث، وظل الحفاظ المتقنون يُراجعون كل نسخة تكتب من المصحف مراجعة فاحصة ولما أصبح للمصحف مطابع خاصة، كُونت لجان متخصصة ومتأهلة من كبار حفاظ العالم الإسلامي تُراجع وتُدقق كل حرف منه قبل أن تأذن بطبعه.

وبهذه الوسائل تحقق للقرآن العظيم ذلك الحفظ الذي قدره الله له منذ الأزل وهو اللوح المحفوظ، وأنجز وعده الصادق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]<sup>(1)</sup>.

وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: معجزة:

ومن خصائص القرآن: الإعجاز، فهو ان المعجزة الكبرى لمحمد ﷺ التي لم يتحدّ العرب بغيرها، برغم ما ظهر على يديه من معجزات لا تحصى<sup>(3)</sup>.

#### 1 - تعريف المعجزة:

أمر خارق للعادة مقرون بالتحديّ سالم من المعارضة بظهره الله على يد رسله<sup>(4)</sup>.

#### 2 - شروط المعجزة:

ومن خلال التعريف السابق للمعجزة نستطيع أن نتلمس شروطها:

أ - أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: مثل عدم إحراق النار

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 109.

(2) المصدر نفسه، ص: 107.

(3) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 32.

(4) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (3/4)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى

مسلم، ص: 14.

لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وعدم إغراق الماء لموسى عليه السلام وقومه وعدم سيلانه عليهم، ومثل القرآن الكريم.

ب - أن يكون الخارق من صنع الله وإنجازه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُرْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: 78].

ج - سلامتها من المعارضة.

د - أن تقع على مقتضى قول من يدعيها.

هـ - التحدي بها.

و - أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل .

ز - تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة<sup>(1)</sup>.

وقد توافرت هذه الشروط في إعجاز القرآن.

### 3 - القرآن هو المعجزة العظمى:

لما زعم المشركون أن محمداً ﷺ هو الذي ألف القرآن، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٣) ﴿لَيَأْتِيَنَّكَ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٢٤) ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٢٥) [الطور: 33 - 35].

ثم تحداهم بعشر سور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلُوبَنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ

(1) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 18.

مِنْهُ. مُفْتَرٍ لَكُمْ. وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾  
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهَا أَنْزَلُ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ [هود: 13-14].

ثم تحداهم بسورة واحدة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ  
عَبْدِنَا فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ  
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23 - 24].

وقال تعالى أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا  
مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: 38].

فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به ثم سجل على جميع  
الخلق العجز إلى يوم القيامة بقوله: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَعِدَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾  
[الإسراء: 88].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي  
إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته  
وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

إن معجزات الأنبياء تتماثل من حيث إنها حسية ومخصوصة  
بزمانها، أو بزمانها، أو منقضية بانقراض من شاهدها.

أما معجزة نبينا محمد ﷺ فهي القرآن الكريم، الذي لم يعط  
أحد مثله، وهو أفيدها وأدومها لاشتيماله على الدعوة والحجة

(1) رواه الشيخان، اللؤلؤ والمرجان، ص: 93.



واستمرار تحديه في أسلوبه وبلاغته ومعانيه وأخباره، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتناء معارضيه بمعارضته فلم ولن يقدروا، فعم نفعه من حضر ومن غاب، ومن وجد ومن سيوجد إلى آخر الدهر، ولذلك فإن محمداً ﷺ أكثر الأنبياء اتباعاً<sup>(1)</sup>.

هذا شرح للحديث على وجه الإجمال، وأما أسباب اختصاص نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء بهذه المعجزة الظاهرة، بينها محمود الألوسي فيقول: لثلاثة أسباب صار بها من أخص إعجازه وأظهر آياته:

- إن معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر من ناس دهره،.. فلما بعث نبينا محمد ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في إيجازه وإعجازه، بما عجز عنه الفصحاء وأدعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر، فصارت معجزاته وإن اختلفت متشاكلة المعاني مختلفة العلل.

- إن المعجزة في كل يوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم.. والعرب أصح الناس أفهاماً وأحدهم أذهاناً، فخصوا من معجزات القرآن بما تجول فيه أفهامهم، وتصل إليه أذهانهم<sup>(2)</sup>.

وهذه المعجزة جمعت بين الدليل لما فيه من الإعجاز وغيره من وجوه الدلالة وبين المدلول بما فيه من بيان الإيمان وأدلتة وبيان

(1) رسالة خاتم النبيين محمد، د. ثامر بن ناصر، ص: 155.

(2) المصدر نفسه، ص: 155.

الأحكام الشرعية والقصص والأمثال والوعد والوعيد وغير ذلك من علومه التي لا تنحصر، ثم جعل مع حفظه وتلاوته من أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى.. ولهذا توفرت الدواعي على حفظه على مر الدهور والأعصار، ففي كل قرن ترى من حفظته ما يفوت العد والإحصاء ويستنفذ نجوم السماء، ومثل ذلك لم يتفق لغيره من الكتب الإلهية المقدسة<sup>(1)</sup>.

وفي قوله ﷺ: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» آية من آيات نبوته، كما قال النووي: فإنه أخبر ﷺ بهذا في زمن قلة من المسلمين ثم من الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة، والله الحمد على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا تحصى<sup>(2)</sup>.

### توضيح هذا الإعجاز:

- بيان حال محمد ﷺ:

إن وضعه ﷺ من الناحية العلمية معروف عند المشركين فهو:

- بشر مثلهم، وليس من جنس آخر.

- أمي، لا يقرأ ولا يكتب.

- تجاوز الأربعين ولم يكن معروفاً قبل ذلك بالخطابة ولا

بالشعر ولا بالرياسة في مجال الكلام، بل كان يعمل بمجال بعيد

(1) رسالة خاتم النبیین محمد، ص: 155.

(2) شرح مسلم للنووي (2/188).

عن الكلمة وهو التجارة، ولم يُحفظ عنه قبل البعثة أثر يدل على إنشائه لقصيدة أو حتى خطبة نثرية.

- أنه ﷺ أتى بكتاب نسبه إلى الله، أجمع العرب على فصاحته وبلاغته وحسن نظمه واشتماله على علوم شتى وآداب تترى.

- وقوع التحدي بهذا الكتاب:

- أن هذا التحدي قائم في وجه كل معارض للرسول.

- التحدي بأن يأتوا سورة من مثله.

- وللمعارض أن يستعين بمن شاء من أعوان وشهداء سواء

كانوا من الجن أو من الإنس أو من الجن والإنس مجتمعين معاً.

### وجود دواعي التحدي:

- العرب أهل لغة، فصاحة وبلاغة وبيان.

- أن معارضي الرسول أهل عداوة عظيمة له.

- وهم حريصون أشد الحرص على إبطال دعوته بأي وسيلة

ومن أي طريق.

- نتيجة التحدي صدق نبوة محمد ﷺ لأنهم:

عجزوا غاية العجز عن الإتيان بسورة من مثله، ولو كان

عندهم أدنى تأهل وتمكن لفعلوا، ولكنهم لم يقدروا، إذ كلام الفقير

الناقص الجاهل لا يكون أبداً مثل كلام الذي له الكمال المطلق،

والغنى المطلق، والقدرة المطلقة، والعلم المطلق، فكما أن الله

ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فبالضرورة ليس

لكلامه مثيل ولا شبيه، ولا يشبهه كلامه بكلام المخلوقين إلا على من اختل عقله، وغاب فؤاده، وهذا برهان ساطع ودليل قاطع على صحة ما جاء به ﷺ ويبقى على من عجز عن هذا التحدي قراران لا مفر من اتخاذ أحدهما:

- إما أن يؤمن بأن محمداً ﷺ رسول من الله، وأن القرآن حق كلام الله وهذا هو مقتضى العقل وسبيل الفطرة السليمة وطريق الناجين في الدنيا والآخرة.

- وإما أن يعاند وهو يعلم من نفسه أن القرآن حق وهذا سبيل الجاحدين ومقتضى الجهل والعناد وأصحاب النفوس المريضة والقلوب السقيمة، وطريق الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وقد كان هذا التحدي سبباً في إسلام الكثيرين، لأن القرآن بهذه الاستشارة للعقول والألباب والقلوب يدعو للتفكير في القرآن بشكل أكبر، ويجعل الإنسان الشاك يتدبر أكثر وأكثر، حتى يصل إلى النهاية المحمودة إذا كان ممن يبحث الحق متجرداً من الهدى<sup>(1)</sup>.

#### 4 - وجوه إعجاز القرآن:

قد كتب العلماء البلغاء قديماً وحديثاً حول «إعجاز القرآن» ووجوه هذا الإعجاز، والفتن في ذلك كتب شتى، فمنهم من عني بإخباره بالغيوب، ومنهم من عني بالنظم والعبارة والأسلوب أو ما يسمى «الإعجاز البياني»، وقد كتب فيه القدماء مثل الباقلاني

والرمانى والخطابى والجرجاني والرازي وغيرهم، وكتب فيه المحدثون، مثل: مصطفى صادق الرافعي وسيد قطب في كتابه «التصوير الفني في القرآن» ومثله «مشاهد القيامة في القرآن»، وطبقه في تفسيره «في ظلال القرآن»، وكتاب الدكتور بدوي طبانة «بلاغة القرآن» والدكتور محمد عبد الله دراز «النبأ العظيم»، ومنهم من عني بالإعجاز التشريعي أو الإصلاحي الذي جاء به القرآن كما فعل الشيخ رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» حيث جدد التحدي بالقرآن، وبيّن المقاصد التي جاء القرآن ليحققها في الحياة، وأنه يستحيل أن يأتي بها رجل أمي في أمة أمية، وقد فاقت كل ما جاء به الفلاسفة والمصلحون، ومثل ذلك: المقالات التي كتبها العلامة محمد أبو زهرة في مجلة «المسلمون» الشهرية المصرية، تحت عنوان «شريعة القرآن دليل على أنه من الله».

وفي عصرنا ظهر نوع جديد أطلق عليه «الإعجاز العلمي» ويقصد به: ما تضمنه القرآن من إشارات ودلالات على «حقائق علمية» كانت مجهولة للناس في وقت نزول القرآن، وتعتبر سابقة لعصرها ولا تتصور أن تصدر من رسول أمي في بيئة أمية، وفي عالم لا يعرف عن هذه الحقائق شيئاً<sup>(1)</sup>، واشتهر في هذا الميدان كل من الشيخ عبد المجيد الزنداني والدكتور زغلول راغب محمد النجار.

وقد لخص الدكتور زغلول النجار جوانب الإعجاز القرآني فقال: وتتعدد جوانب الإعجاز القرآني: بمعنى عجز البشر عن

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 34.

الإتيان بشيء مثله بتعدد الزوايا التي ينظر منها إنسان محايد إلى كتاب الله، ومن هذه الجوانب:

- الإعجاز اللغوي، الأدبي، البياني، البلاغي، التنظيمي، اللفظي، والدلالي.

- الإعجاز العقدي «الاعتقادي».

- الإعجاز التعبدية «العبادية».

- الإعجاز الأخلاقي.

- الإعجاز التشريعي.

- الإعجاز التاريخي.

- الإعجاز التربوي.

- الإعجاز النفسي.

- الإعجاز الاقتصادي.

- الإعجاز الإداري.

- الإعجاز النبوي.

- الإعجاز العلمي.

- إعجاز التحدي للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بشيء من مثله في أسلوبه، أو مضمونه أو محتواه، دون أن يتمكن أحد من ذلك<sup>(1)</sup>.

(1) من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن، ص: 12، 13.

### رابعاً: كتاب مبين وميسر:

ومن خصائص القرآن: أنه «كتاب مبين» ميسر الفهم والذكر ومع السمو البلاغي والبياني للقرآن الكريم، فإنه سلسل كالماء العذب الزلال، ميسر لكل من يريد أن يعقل ويذكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97].

لقد نوه الله تعالى بشأن القرآن العظيم وأخبر أنه يسره وسهله ليتذكر الخلق ما يحتاجونه من التذكير، ممن هو هدى لهم وإرشاد لمصالحهم الشرعية.

وسبب تيسيره: أنه نزل بأفصح اللغات وأبينها، وجاء على لسان أفضل الرسل ﷺ.

ومعنى تيسيره: يرجع إلى تيسير ما يراد منه، وهو فهم السامع المعاني التي عناها المتكلم به بدون كلفة على هذا السامع ولا إغلاق<sup>(1)</sup>.

وهذا الكتاب مبين لأن الله أنزله لتعقل معانيه، وتفقه أحكامه، وتدرك أسرارهِ وتندبر آياته فهو مبيناً لا غامضاً ولا مغلقاً ولا ملغزاً ولا معقداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:

[2].

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 103.

وقال تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾  
[فصلت: 3].

وقد وصف الله هذا القرآن بأنه: ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾  
[المائدة: 15].

وقال تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّكَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾  
[البقرة: 185].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 64].

وبإلى غير ذلك من الآيات التي استفاضت في هذا المعنى<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: القرآن كتاب هداية:

ومن خصائص القرآن الكريم أنه كتاب هداية للعالمين أنزله الله  
ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

1 - قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى  
الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257].

2 - وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾  
[إبراهيم: 1].

وقد تحقق هذا حينما اهتدى العرب بهداه فخرجوا من

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 40.



الظلمات إلى النور، ومن التخلف إلى قمة الحضارة والمدنية، ومن الذل والتبعية إلى السيادة والعالمية، ثم أوصلوا هدايته إلى العالم من حولهم بأمانة وتضحية وإخلاص، فإذا بالعالم يكسى بحلة العزة والرفعة والبهاء والجمال وأثبت واقع المسلمين عبر الزمن أنهم أصبحوا بتمسكهم بالقرآن أرقى الأمم، وبتخلفهم عنه وأخذهم بما عند الأمم من ضلال أخس الأمم<sup>(1)</sup>.

3 - وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ وَيَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

يؤكد الله أن هذا القرآن أقوم من أي هداية يراها البشر، ولم يستطع أي باحث موضوعي أن يجد خلافاً في تشريع القرآن، أو أن يجد في التشريع الوضعي ما يصل إلى تشريع القرآن فضلاً عن أن يتفوق عليه، وهذا يوجب على العاقل استدامة القرآن وملازمة العمل به.

إن ما في القرآن من هداية وتشريع صالح لكل زمان ومكان لا تبطل قيمته، بل لا يصلح إلا هو، مهما اختلفت العصور وتنوعت الحضارات إنه تسامى على كل قانون عرفته الأمم قديماً وحديثاً، حتى أقرت المجامع القانونية الدولية الفقه الإسلامي مصدراً أساسياً نقبَس منه القوانين، وإن القوانين الحديثة في تطورها تسامى لتقرب من تشريع القرآن<sup>(2)</sup>.

وكيف لا يكون كذلك وهو تشريع رباني شامل لجميع النواحي، وكافل لإحقاق الحق وصيانة مصالح الناس في جميع

(1) إعجاز القرآن الكريم، د. محمد صادق درويش، ص: 46.

(2) المصدر نفسه، ص: 47.

شؤونهم: المالية والاجتماعية والأسرية والدولية في حين أنه لم يوجد إلى الآن تشريع شامل أو عادل مع ما مَرَّ على الإنسانية من تجارب وخبرات حتى إن الله تحدّى العالم أن يأتوا بمثل القرآن، والمثلية تشمل جميع جوانب القرآن سواء الألفاظ والمعاني، وإذا عجزوا عما هو من جنس ما يستطيعونه ويتفوقون فيه وهو نظم القرآن، فهم أشدّ عجزاً عن تشريع القرآن وهدايته، لما يحتاجه إلى علم محيط بكل شيء وليس هذا إلا الله عز وجل<sup>(1)</sup>.

4 - وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

استنكر الله تعالى على من أعرض عن تشريعه ولجأ إلى تشريع الناس وما هذا إلا لأنه لا تشريع أحسن منه، ولا هداية مثله، فكيف يترك إلى ما دونه<sup>(2)</sup>؟

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به الضلالات والجهالات بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن، وعلم

(1) إعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش، ص: 48.

(2) المصدر نفسه، ص: 48.

أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء<sup>(1)</sup>.

5 - قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

يحشنا الله تعالى في هذه الآية على التمسك بهديه من خلال مدحه دينه بالكمال والتمام، والنفوس تتطلع إلى ما كان كذلك<sup>(2)</sup>.

هذه أكبر نعم الله تعالى عن هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف... فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه<sup>(3)</sup>.

وكمال دينه سبحانه وتماحه بكمال مصدره الأصل: القرآن الكريم، ولهذا لا يملك من يتلو القرآن ويتدبر معانيه إلا أن يخز ساجداً لعظمة منزله.

(1) إعجاز القرآن الكريم، ص: 48، تفسير ابن كثير (68/2).

(2) إعجاز القرآن الكريم، د. محمد درويش ص: 49.

(3) تفسير ابن كثير (13/2).

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

### سادساً: كتاب الإنسانية كلها:

ومن خصائص القرآن الكريم أنه كتاب الإنسانية كلها الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر إلى يوم القيامة فلم يُقيد بزمان، ولا بمكان، ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجه إلى الثقلين، خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة والعبادات الحكيمة والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن<sup>(1)</sup>.

ومن الآيات التي صرحت بعالمية القرآن العظيم:

- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 89].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 27].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ صَلَّ فَإِنَّمَا يَصِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: 41].

فالقرآن لا يخاطب صنفاً واحداً من البشر له تجاه عقلي أو نفسي معين، مغفلاً عن عداه من الأصناف ذوي الاتجاهات المتعددة كلا، إنه يخاطب كل الأصناف ويشبع كل الاتجاهات الإنسانية السوية، في توازن لا يقدر عليه إلا منزل القرآن وخالق الإنسان<sup>(1)</sup>.

1 - إن طالب الحقيقة العقلية يجد في القرآن ما يرضي منطقته ويأخذ بلبه إذا سمعه يصيح بالعقل أن ينظر ويفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن يعتمد على البرهان وحده في العقلیات.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

وعلى المشاهدة والتجربة في الحسيات، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185].

وعلى الصدق وتوثيق الرواية في النقليات، قال تعالى:

﴿أَتَنْتَوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَفِرَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4].

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ص: 60.

ويكفي أن مشتقات العقل مثل «يعقلون» و«تعقلون» ذكرت في القرآن ثماني وخمسين مرة، وذكرت مشتقات الفكر سبع عشرة مرة، وذكرت كلمة «الألباب» أي العقول ست عشرة مرة، وهذا غير الآيات التي اشتملت على كلمات ومشتقات آخر مثل: النظر، والاعتبار والتدبر والحجة والبرهان والنهي والحكمة والعلم ونحو ذلك مما يبحث عنه طلاب الحقائق العقلية، فلا يجدونه في كتاب ديني غير القرآن.

2 - والباحث عن «الحقيقة الروحية» يجد في القرآن ما يرضي ذوقه ويغذي وجدانه، ويشبع نهبه وتطلعاته في آفاق الروح، في مثل قصة موسى والعبد الصالح الذي قال الله فيه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65].

يجد الباحث عن «الإيمان» في الخطاب القرآني ما ينشئ الإيمان البصير بالله ورسالاته ولقائه وجزائه، ويطارد الجحود والشك والنفاق، ويقيم الأدلة الناصعة على وجود الله تعالى، وعلى وحدانيته، وعظيم قدرته، وبالغ حكمته وواسع رحمته، وعلى بعثه رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

وعلى عدالة الجزاء في الآخرة: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

ويجلي له القرآن مصير المؤمنين نجاة وحياة طيبة في الدنيا، وفلاحاً في الآخرة، ومصير المكذابين: شقاء في الدنيا، وعذاباً في العقبى.

الإيمان في القرآن يبنى ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ويسامح ولا يتعصب، فهو يوجب الإيمان بكل كتاب أنزل، وبكل نبي أرسل، قال تعالى: ﴿كُلُّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَكَ أَحَدٌ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

3 - والحريص على «القيم الأخلاقية» يجد في القرآن ضالته وطلسته، وإذا كان موضوع الأخلاق هو «الخير» فالقرآن قد دل على «الخير» كما هدى إلى «الحق» وقد جعل فعل الخير إحدى شعب ثلاثة لمهمة المجتمع المسلم.

قال تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]. ولكنه لم يكتف من المسلم بفعل الخير، بل طلب أن يدعو إليه ويدل عليه، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104].

4 - وعاشق القيم الجمالية يجد في القرآن ما ينمي حاسته الجمالية، ويغذي شعوره الفني، وذلك بما لفت إليه القرآن الأنظار من الاستمتاع بجمال الطبيعة في السماء، ﴿وَرَزَقْنَاهَا لِلنَّاطِرِينَ﴾ [الحجر: 16].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَيِّحٍ﴾ [الملك: 5]. وجمال الطبيعة في الأرض ابتداء من جمال النبات، قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ [الحج: 5]. وقال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60]. وجمال الحيوانات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرْمَحُونَ وَحَيْثُ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6].

وجمال الإنسان ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [التغابن: 3].  
 وجمال المخلوقات كلها ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾  
 [النمل: 88].

ووراء ذلك كله ما احتواه أسلوب القرآن ذاته من جمال بياني معجز في نظمته ومعناه وفي شكله ومضمونه، وصفه المشركون أنفسهم فقالوا: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه<sup>(1)</sup>.

### سابعاً: كتاب الزمن كله:

من خصائص القرآن: أنه كتاب الزمن كله، وكتاب الإنسانية كلها وكتاب الدين كله وكتاب الحقيقة كلها، ومعنى أن القرآن كتاب الزمن كله: أنه كتاب الخلود، ليس كتاب عصر معين، أو كتاب جيل أو أجيال، ثم ينتهي أمده، بل القرآن هو الكتاب الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو الكتاب الصالح والمصلح لكل زمان ومكان<sup>(2)</sup>، مهما اختلفت العصور وتنوعت الحضارات، لا تبطل قيمته، بل لا يصلح إلا هو.

إن تعاليم القرآن موجهة للعالم بأسره، فهي للناس في شتى أرجاء العالم كافة، بغض النظر عن أصلهم، أنزلت إليهم لتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم، وتطهر نفوسهم، وتهذب أخلاقهم وتوجه مجتمعاتهم، وتستبدل سطوة القوي بالعدل والأخوة، وقد أكد الله ﷻ أن في القرآن حلوياً لجميع قضايا البشر ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 62.

(2) كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص: 56.



الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿[النحل: 89].

فالقرآن له أعلى حظوة لدى المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح أو تساييح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم، ومرة الأجيال، إنه سلوى الحاضر، وأمل المستقبل<sup>(1)</sup>.

### ثامناً: نزوله بأرقى اللغات وأجمعها:

لقد اختار الله ﷻ اللغة العربية لتكون آخر كتبه، وهذا الاختيار من الحق ﷻ لهذه اللغة العظيمة إنما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة واتساع وقدرة على الاشتقاق، والنحت والتصرف وغنى في المفردات والصيغ والأوزان<sup>(2)</sup>.

فكل دارس للغات العالم يُصرُّ بأن اللغة العربية هي أرقى اللغات وأجمعها للمعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة وأحسنها تهذيباً، وأكثرها إيضاحاً وبياناً للمطلوب ولذلك أشاد القرآن الكريم بها في عدة آيات منها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2].

(1) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز، ص: 18.

(2) لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها، ص: 11، 12، إبراهيم محمد أبو عباد.

لقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتاباً مخاطباً به كل الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية، لأسباب يلوح لي منها، أن تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفاً، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفاً في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظاً، وجعله جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحملة اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جارياً على أسلوب الإيجاز، فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب<sup>(1)</sup>.

**تاسعاً: تصديق القرآن لكتب الله وهيمنته عليها:**

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

ومعنى قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: أن القرآن العظيم رقيب على الكتب السابقة، لأنه يشهد بصحتها، ويقرر أصولها، وما يتأبد من فروعها، وَيُبَيِّنُ أحكامها المنسوخة بتعيين وقت انتهاء مشروعيها.

أو على معنى أنه أمين عليها، فما أخبر عن صدقه مما ورد فيها صدق وما أخبر بزيفه فهو باطل أو على معنى أنه الحافظ لها، فهو الذي حفظ ما جاء فيها من التوحيد، وكليات الدين إلى يوم القيامة أو على معنى أنه دال على صدقها، أي هو دليل على أنها من عند الله، لأنه جاء كما نعتته هذه الكتب<sup>(2)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 98.

(2) تفسير الطبري (6/ 266 - 267).

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمتها أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً، وأميناً، وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: 9].

### 1 - علاقة الهيمنة بالتصديق:

ولا شك أن مفهوم الهيمنة أتم وأشمل من مفهوم التصديق، لأن الهيمنة لا تقتصر على مجرد الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزال أصولها وتقرير أصولها وشرائعها، بل تتعدى ذلك فتُبَيِّن ما اعترأها من نسخ أو تحريف، وما عرض لها من زيف وفساد، فالقرآن بذلك مهيمن على المعاني الصحيحة التي كانت في تلك الكتب، وشاهد بكونها من عند الله، وبذلك تتلاقى الهيمنة مع التصديق ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف وتسرب إليها من باطل، وبه تنفرد الهيمنة عن التصديق، فمفهومها إذن أتم، وأشمل من مفهوم التصديق<sup>(1)</sup>.

### 2 - مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السابقة:

لهيمنة القرآن العظيم على كتب الله المنزلة قبله - فوق ما تقدم

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 124.

من تصديقه لها - مظاهر متعددة من أهمها ما يلي:

أ - إخباره بتحريف الكتب السابقة وتبديلها:

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

ب - بيان المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحق:

ففي جانب العقائد على سبيل المثال نفى القرآن العظيم ما صرّحت به الأناجيل المحرفة من قتل عيسى عليه السلام وصلبه.

فقال تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شِئَهُ لَهُمْ﴾ [النساء:

[157].

وحكم على النصارى بالكفر لقولهم بالتثليث، وألوهية المسيح، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ إِبْرَاهِيمَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٣) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٤) [المائدة: 72 - 73].

أما التوراة المحرفة فإنها تنسب إلى الله تعالى كثيراً من النقائص والتي جاء القرآن العظيم بدحضها وإبطالها، فلقد أخبر القرآن العظيم أن اليهود نسبوا إلى الله عز وجل الولد، كما وصفه اليهود للنبي صلى الله عليه وآله بالفقر، والبخل وغل اليد.

فبين القرآن الكريم كذبهم وزورهم وبهتانهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يُؤَفَّكُونَ﴾ [التوبة: 30].

- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْخَرْقِ﴾ [آل عمران: 181].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64]<sup>(1)</sup>.

ج - بين القرآن كثيراً من المسائل التي أخفوها:

فمن ذلك: أن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها: قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه - وإذا كانت اليهودية في أصلها تقرر البعث، والنشور، والحساب، والجنة والنار، كما يُنبئ بذلك القرآن - ذلك يدل على أن اليوم الآخر وما فيه وما يتصل به، من المسائل التي أخفها أهل الكتاب<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]<sup>(3)</sup>.

(1) عظمة القرآن الكريم، ص: 126.

(2) المصدر نفسه، ص: 126.

(3) المصدر نفسه، ص: 126.